مثلث الشر والدمار

القمار

عدّ المفكر من قديم الزمان أم الخبائث ولا يزال كثيرون الى الآن يعتقدون انهُ رأس المعاصي كلها . اما كاتب هذه السطور فلا يرى هذا الرأي بل يعد القمار شر الرذائل على الاطلاق وافظع الكبائر بلا استثناء . نعم ان بينهُ وبين المكر بعض الشبه لانهما يرتبطان احياناً بالمكر فيكون طريقاً اليهما ويكونان من نتائجهِ او ما يجنيهِ المكر على مدمنيهِ ولكنهما ليسا من لوازمهِ وانك لتجد بعض المكرين لا يأتون منكراً ولا يقامرون وترى كثيرين من المقامرين من عافي المنكرات او المنكرات وسواء كان هذا او ذاك فالقمار ابو الملآثم والخطايا وأم المعرات والخزايا ولا ارى منقصة مثلهُ تصم صاحبها بالعار مدى الادهار

ولعلَّ بعض القراء يستغربون قولي ولا يوافقونني عليهِ لانهُ مغاير لما الفوهُ وعرفوهُ ومخالف لحكمهم على القمار الذي عدوهُ من مقتضيات التمدن حتى لقد يزدرون بمن لا يقامر ويحكمون عليهِ بانهُ « ليس من ابناء هذا العصر » ولكنهم لو وقفوا هذه المسألة حقها من التدبر والتأمل لرأوا رأيي ولم يخالفوني فيهِ . ولكي يسهل عليهم ذلك يجب ان نبحث عن البواعث التي تدفع الناس الى ارتكاب كل من هذه الرذائل الثلاث التي اجمع علماء الاجتماع والعمران ورجال الفلسفة الادبية على انها « الرذائل الكبرى » فنرى ان منشأ المكر والمنكر واحد وهو توقع التمتع بلذة او شهوة ولو على سبيل التصور والتوهم او عن شبهة وخدعة وغرور فيغري الشاب بهما إغراء واستدراجاً حتى يتبعث فيهما بغية الوصول الى اللذة المزعومة والحصول على الشهوة الموهومة ولكنهُ في كلتا الحالتين يكون مجرداً عن اقل قصد او افتكار في التعرض لغيرهِ بما يسوءهُ او يضرهُ بخلاف المقامر الذي يطلب القمار لمجرد الحصول على ربح لا ينال الاَّ بخسارة من يقمرهُ اي يغلبهُ في المقامرة . وخسارة المال من اشد المضار والخسر عدو مبين ولو كان صديقاً

وهذه الرذيلة الشائنة كانت معروفة من قديم الزمان حتى في جاهلية العرب واليونان وقد منعتها حكومة الرومان وحظرت على الشعب استعمالها في عهد جمهوريتهم وامبراطوريتهم وذلك ليس لانها افسدت اخلاقهم وعبثت بآدابهم فقط بل لانها كانت ايضاً مدعاة التفتيق والتخنيث وآفة المروءة والرجولة . ولم يكن اتيان هذه المنقصة خاصاً بالامم المتمدنة بل كان ولا

يزال شائعاً حتى بين القبائل المتوحشة في كل زمان ومكان . وهي في الغالب تتخذ مفرًّا من ضغط ثقل الفراغ والبطالة الناشئ عن خمود النشاط وذهاب لباعة الشأن من اذهان فاقدي الحياة الداخلية اي انها اثر من آثار عيشة الترف والرخاء

وهي مبنية على قاعدة من شر القواعد التي اخترعها ابالسة الخراب لهدك معالم الكون ونقض نظام العمران من اساسه الا وهي تعدي المقامر لاخذ مال غيره عفواً بأية وسيلة ممكنة ومن غير حق او شبه مسوغ شرعي يحلل لهُ ذلك . وهل في الارض قصد اسوأ منهُ بل هل من سعي يحاكيهِ في الفظاعة

يجني الدهر على رجل فيصفر اناؤهُ ويقرع فناؤهُ وتفرغ يدهُ من المال ولا يرى عملاً يكسب من تعاطيهِ ما يسد بهِ مخمصة اولادهِ فيبلغ بهِ اليأس ان يحاول دفع آلام الجوع التي لا تطاق باخذ ما لغيره فيقبض عليهِ ويساق الى حيث يحكم عليهِ ويسجن ونعدهُ سارقاً . ويصيب وحشاً سعار من السغب يضطرهُ ان يعدو على قطيع من الغنم ويفرس منهُ شاة يقتي بأكلها اذى الجوع فنعدهُ ضارياً مفترساً ونتحاشى على قتلهِ وقرض ذريتهِ عن وجه الارض ونتغاضى عن رجل ذي سعة ويسار وعندهُ ما يكفيهِ للانفاق على ما تمس حاجتهُ اليهِ ومع ذلك يغشى المقامر في الليل والنهار ويتصدر في موائدها قاصداً مع سبق التعمد والاصرار ان يتربص بمن يقامرهم ريب غفلة او انخداع ليسلبهم في طرفة عين ما نقصوا بجمعهِ عشرات السنين ويقذف بهم من اوج الثروة واليسر الى حضيض الفاقة والفقر

هذا هو الغرض الوحيد الذي يقصدهُ المقامرون ويقعونهُ نصب عيونهم عند ما يجلسون حول موائد القمار . نعم انهم قلما ينالونهُ ولكن الامور بمقاصدها

هوذا الجائع يحصر افكارهُ كلها في الطعام ويرد التبلغ ولو بكشى الضباب . والظمآن لا يخطر ببالهِ سوى الماء ويتمنى ان يتقع صداهُ ولو بالسراب والمدلج في حالك الظلام يمشي الى اصغر بارقة ولو من وراء السحاب والمقامر المتكالب على حشد المال السحت وتحصيل المنى بغير حق يعلل نفسهُ بالمحال ويلهيها بكواذب الاماني وخوادع الآمال وشيطان الجشع يزين لهُ امكان ابتزاز اموال الذين يقامرهم بما لهِ من « حسن اليمن » او ما امتاز بهِ من شدة الدهاء والمكر والاحتيال . بهذه النحلة يتلهى معاشر المقامرين . نعم ان تحقيقها لا يتسنى لكل منهم ولكنهم جميعهم مشتركون في جريمة تعمدها وعقد عزائمهم عليها وليس فيهم واحد يستطيع التبرؤ من جريرة التزامها والتذرع بكل وسيلة لادراكها والحصول عليها اذا درن هذا المقصد الشرير لاصق بضمير كل منهم واذا تخلف بعضهم عن الخراجه

من القوة الى الفعل واختصر التلطخ به في البعض الآخر لم يكن تخلق اولئك عن عفة ونزاهة بل عن عجز وعدم اقتدار او « لسوء البخت » وعدم مطاوعة الاقدار او غير ذلك مما يصيب المقامر على غير انتظار ويحول ما قد نالهُ من الربح الى وضيعة وخسار

وهنا يذكرني حكاية الذئب الذي زعموا انهُ اختطف خنوصاً وفيما هو ذاهب به لقيهُ اسد واخذهُ منهُ فقال الذئب في نفسهِ « لا غرو ان اصبح الغاصب مغصوباً فان البغي مرتعهُ وخيم » . وفي الحديث « من اصاب مالاً من مهاوش اذهبهُ الله في نهابر »

ضمني يوماً مجلس دار فيهِ ذكر القمار والمقامرين وتناول البحث عن الاضرار المختلفة الناجمة عن هذه الرذيلة الكبرى والجريمة العظمى واخذ كل منا يشير بملء الحزن والاسف الى الذين ذهبوا ضحايا هذا الويل الفاضح والوباء الجائح وكيف انهم بعد خراب بيوتهم وافلاس البنوك والشركات وغيرها من الاعمال التي اداروها او استخدموا لها كانت نهايتهم اما موتاً باحد الامراض التي لا شفاء لها او باطلاق الرصاص او غرقاً او حريقاً او بغيره من طرق الانتحار الشائعة في هذه الايام او حياة شقاء وعذاب في احد السجون او المستشفيات. فقال احد الحاضرين في ختام الكلام « شهدت مرة حلقة مقامرين في مونت كارلو ولا ادري بماذا اشبهها وباي مثل امثلها فان قلت انها تشبه مغارة لصوص رأيتها بعد التأمل شراً منها لان عصابة اللصوص تجتمع او تتألف للاشتراك في ما تصل اليهِ ايديهم من الاماكن التي يسرقونها ولكنهم لن يحاولوا ان يسرقوا بعضهم بعضاً كما رأيت مقامري مونت كارلو يفعلون يوم شاهدتهم جالسين احدهم بجانب الآخر وغرضهم الوحيد ان كلاً منهم يسلب الآخرين ويستأثر بكل ما تملكهُ ايديهم . واني قلت ان اعضاءها اشبه بالذئاب الخاطفة تذكرت ان الذئاب وهي اضرى الحيوانات لا تعمد للخطف الاَّ اذا عضها الجوع بنابهِ بخلاف الجالسين على موائد الميسر فانهم وهم في شبع وامتلاء يقرمون بعضهم الى لحم البعض ويبذلون غاية جهدهم في ان يمزق احدهم الآخر »

لما تفشى داء المكر في [illegible] وضج من هولهِ اهل اوربا واميركا هب جانب كبير من نساء القارتين الى التداعي والتلاقي والتفن بجمعيات كثيرة لمقاومة المكر ومنع انتشارهِ ووقاية البلاد والعباد من شرورهِ واضرارهِ . وكان لمعلمنَ الجيد الجليل اكبر نفع ذكر لهنَّ بالثناء الجليل والشكر الجزيل . اما الشرق — مصر وسورية على الخصوص — فلا نكب بالقمار نذير الخراب وقاعدة مثلث الشر والدمار فام لسوء حظهِ وكد طالعهِ جانب غير صغير من نسائهِ المعدودات فرائد قلائد الاوانس والعقائل بين العظماء والكبراء والمرجع الاعلى

في التمثل والاقتداء — هؤلاء قرنّ للقمار غيرة لم تسمع بأشد منها اذن انسان وانبرين برفع شأن انديته ومعاهده حتى سابقن الرجال في الاقبال على موارده والتصدر في موائده

في كثير من الابنية الفخمة الانيقة المعروفة بالمعالم والاندية والفنادق وفي عدد كبير من القصور الباذخة والبيوت الجميلة نرى جمهوراً غفيراً من عظماء رجالنا وجماً كبيراً من نخبة سيداتنا يقضون ليلهم واكثر ساعات نهارهم لا في المخادمة والمسامرة ولا في المناكهة والمباحثة ولا في سماع آلات الطرب واصوات الغناء بل في محاولة السلب والنهب بحجة التسلية واللعب

هناك تنفصم اواصر القرابة وتتفكك عرى المودة والولاء وتنقطع صلات المعرفة والصداقة ويظهر الانسان في مظاهر الغدارة والخشونة

تنشأ بيننا الاندية والمحافل باسم العلم والادب ومطالعة الصحف والمجلات وسماع الخطب والمباحثات فنسر ونرجو خيراً ثم لا نلبث ان نراها تحولت مقامر واصبح اكثر اعضائها من كبار المولعين باليسر

في الايام الماضية كانت اسباب التسلية متوفرة في الاجتماعات الليلية فكانت السهرات تقضى بالمسامرات المختلفة وسماع بعض اللطائف والملح والنوادر وتوقيع الالحان وانشاد الاغاني اما الآن فلم يبقَ لجانب كبير من الرجال والنساء ما يتسلون به في سهراتهم سوى القمار

في قديم الزمان كانت الاعياد الكبرى ورؤوس الاعوام محل مسرات الامم ومظهر افراح الاصدقاء فكانت تقضى بايلام ولائم المحبة واقامة حفلات الانس والصفاء وعرض الالعاب المسلية المروضة للافكار وتشنيف الآذان بسماع الالحان وغير ذلك مما يروح القلوب ويبهج النفوس وتعم مسرتهُ الكبار والصغار على السواء . اما الآن فيقتصر المحتفلون بها في كثير من البيوت على احياء لياليها بالقمار بحيث يودع العام الراحل ويستقبل العام القادم بشر ما استنبط لتسويد صحيفة الانسان

ان لشر الشر حدًّا ولائم مرتكب المنكر نهاية اما المقامر فلا يعرف حدًّا يقف عنده ولا نهاية ينتهي بها . فان خسر استمر يقامر أملاً ان يعوض خسارتهُ وان ربح تمادى طمعاً في الزيادة وبذر ما ربحهُ غير حاسب له حسرهُ بالامس حساباً وهو على الحالين شديد الايغال وكثير الاضرار بنفسه وبغيره . وكم من مقامر توسل الى الحصول على مال يقامر به بأقطع الاسباب واقبح الوسائل

ان شهوة المقامر لجمع المال تشتد فيه الى حد الجنون وتدفعهُ الى الحصول على بغيته باية طريقة كانت وان رأى فيها والاَّ فتنة بين يديه عنها او اتخر

ان الشبان المأخوذين باشراك القمار يعدون بعشرات الالوف وهذا السرطان الخبيث يأكل الآن اهم الاعضاء في جسم الهيئة الاجتماعية وما من اثم عظيم يؤتى بصورة توهم الناس انهُ جائز محلل وهو في الواقع من شر الامور المحرمة . وهو على انواعهِ يسقم العقل ويضني الجسد ويفقد صاحبهُ خاصة الصلاحية لقضاء واجبات الحياة . فاذا ظهر في بداءتهِ شبهاً يخلب الالباب فهو بالحقيقة ذاهب بالنفوس الى هاوية الهلاك والخراب اسعد داغر

ابقراط وشرح فصولهِ

وقع لنا في الشهر الماضي كتاب خط نفيس هو شرح فصول ابقراط للحكيم الفاضل الامام ابي القاسم عبد الرحمن ابن ابي صادق الملقب بسقراط الثاني خطهُ قديم جدًّا كما يظهر من شكلهِ ومن نوع ورقهِ . وليس فيهِ تاريخ السنة التي خُطَّ فيها لان الاوراق الاخيرة قد نزعت منهُ منذ عهد قديم وخُطَّ غيرها بكتابة احدث من كتابتهِ لكن على ظاهرهِ كتابة يقال فيها انهُ « في نوبة الفقير محمد بن الهمام الحنفي عاملهُ الله بلطفهِ الخفي » وتحتها تاريخ سنة ٨٥٩ . ورقم الملفات اكلتهُ الارضة لكن محمد ابن الهمام الحنفي طبيب مشهور توفي سنة ٨٦١ للهجرة فالكتاب دخل في ملكهِ (او في نوبتهِ كما يقال) سنة ٨٥٩ . وهناك كتابة اخرى يقال فيها « ساقتهُ النوبة لملك كاتبهِ الواثق بالخلاق الفقير عبد الرزاق محمد بن معروف الشيرازي الدمشقي الشافعي الاشعري الوفائي سنة ٩٦٧ » . وخط هذا يشبه خط الاوراق الاخيرة التي اضيفت بدل ما نقص او تلف في النسخة الاصلية

اما ابن ابي صادق شارح الفصول فقال فيهِ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء ما نصهُ « هو ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن احمد بن ابي صادق النيسابوري طبيب فاضل بارع في العلوم الحكمية كثير الدراية للصناعة الطبية لهُ حرص بالغ في التطلع على كتب جالينوس وما اودعهُ [illegible] وامض صناعة الطب واسرارها شديد الفحص عن اصولها وفروعها وكان فصيحًا بليغ العبارة [illegible] ما فسرهُ من كتب جالينوس فهو في نهاية الجودة والاتقان كما وجدنا تفسيرهُ كتاب منافع الاعضاء لجالينوس فانهُ اجهد نفسهُ فيهِ واجاد في تلخيص معانيهِ و[illegible] وكان فراغهُ من هذا الكتاب في سنة تسع وخمسين واربعمائة . وحدثني بعض الاطباء ان ابن ابي صادق كان قد اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا وقرأ عليهِ وكان من جملة تلامذتهِ والآخذين عنهُ وهذا لا استبعدهُ بل هو اقرب الى الصحة فان ابن ابي صادق لحق زمان